تاريخ الإرسال: 2016/02/16 - تاريخ القبول للنشر: 2016/05/19 تاريخ النشر: 2016/06/28

ألفونسو الأول [الكاثوليكي] وتطوّر حركة المقاومة النّصرانية ضدّ المسلمين بإقليم أشتوريس

(0121هـ – 140هـ/739م – 757م).

بن نيـلي لخضر

جامعة الجلفة

مقدّمـــة :

بعد مقتل فافيلا تعرضت مملكة أشتوريس الناشئة لأزمة سياسية داخلية تجلت في شغور منصب الحاكم فيها، لأن فافيلا بن بلاجيوس لم يترك وريثا لعرشه وعرش أبيه*، (القلقشندي، 1915، ج5، ص.264؛ ابن خلدون، دون تاريخ، ج4، ص.229؛ ابن الخطيب، 1956، ص. 323؛ الرازي برواية: المقري، 1988، المجلّد 4، ص. 351؛ مؤنس، فجر الأندلس، دون تاريخ، ص. 344. أنظر أيضا :

(La Cronica Alfonso III '1918 'p ;67.Priméra Cronica General 'Estoria de Espana '1906 'to '02.pp ;330 –329 .Ulick .Ralph Burke'M .A 'volume. '01'1900pp ;134–135 .Levi Provencal '1999 'to '01 .p ;68.L .Barrau Dihigo '1921 'p ;136.Henry Coppee '2002 'vol '02 .p.413) .

خاصة وأنّ هذه المملكة التي وضع أسسها بلاجيوس لم تستقر أمورها بعد، وبالتالي فهي بحاجة ماسّة إلى شخصيّة قوية تتمتع بحنكة سياسيّة وخبرة عسكريّة تؤهّلها في تسيير شؤونها وتقوّي دعائمها لتمكّنها من الصّمود في وجه التّحديات التي تواجهها خاصّة المدّ الإسلامي (طه رمضان، 2001، ص. 299.)، فتولّى أمرها شخص عرف بالدّهاء والحنكة حتى أعتبره بعض المؤرخين الحديثين (عبدالله عنان، ج1، 1997، ص. 213؛ . Provençal Levi '1999 'to. '01 'p. 68) المؤسّس الحقيقي لها، وجعلوا من تاريخ توليه لعرشها تاريخا لتأسيسها وهو الملك ألفونسو الأول.

1/– أصل ألفونسو الأول وحياته حتّى تولّيه عرش مملكة أشتوريس :

Lévi ينحدر ألفونسو الأوّل من أسرة ملكية ذات أصول قوطيّة هي أسرة الملك ريكارد (586م –601م)1 (Provençal1999 ' '' to. 01' p. 68; Barrau Dihigo' ' 1921' p.136 ' Marge. 3.)

ولقّب في المصادر النّصرانية بالكاثوليكي Elcatolico

.Charles ;330 .p '02.to '1906 'Espana de Estoria 'General Cronica Priméra) (.496 .p '02 .to 'Encyclopedie Grande La ;54 .p '1930 'Chapman .E

تذكر هذه الموسوعة أنّ ألفونسو هو من مواليد سنة 693 م.

لتدينه وورعه ومعرفته بأصول الكاثوليكية (ابن الخطيب، 1956، ص. 323؛ عبد المحسن طه رمضان، 2001، ص. 303.)، أمّا المصادر الإسلامية فذكرته باسم أذفونش بن بطرة* (القلقشندي، 1915، ج5، ص. 264؛ مجهول، فتح الأندلس، دون تاريخ، ص. 48؛ ابن حيان برواية: المقري' 1988، مج3، ص. 17؛ ابن خلدون، دون تاريخ، ج4، ص. 230؛ مؤنس، دون تاريخ، ص. 343.)، ووالده بتروس (بطرة) كان دوقا على كانتبرية – ألبة وبردوليا – (مؤنس، دون تاريخ، ص. 343؛ أنظر أيضا: Dihigo Barrau' '1921' p. 136.) منذ أواخر عهد القوط أي قبيل الفتح الإسلامي، وبعد الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية تمكن هذا الأخير– بتروس أو بطرة – من أن يؤسس لنفسه كيانا سيّاسيّا نصرانيّا مستقلا عن الحكم الإسلامي، لكنّه لم يكن ذا أهمّية ولم يشكل أيّ خطر ضدّ المسلمين (عبدالله عنان، ج1، 1997، ص. 208.) وظلّت دوقيّته خلف جبال كانتبريّة تتحيّن الفرصة للثّورة ضدّهم، ولمّا علم بتمرّد بلاجيوس في إقليم أشتوريس سارع إلى تقديم يد العون له بإرسال ابنه ألفونسو على رأس قوّة عسكريّة من دوقيّته خاضت معركة كوفادونجا سنة 103 هـ/ 722 م إلى جانب الأشتورييّن الذين أحرزوا فيها نصرا على المسلمين، ولذلك كافأ بلاجيوس ألفونسو الأوّل بأن زوّجه أبنته الوحيدة أرمسيندا Hermesinda، فتقوّت الرّوابط بين الأسرتين (طه رمضان، 2001، ص. 300.) وبدأ التقارب بين الجانبين.

2 – تولّي ألفونسو الأوّل عرش مملكة أشتوريس :

بعد وفاة كل من بتروس – بطرة – دوق كانتبرية والد ألفونسو وفافيلا بن بلاجيوس حاكم أشتوريس في نفس عام 739م/121هـ ازداد التّلاحم أكثر بين الكانتبريين والأشتوريين، حيث تولى ألفونسو الأوّل أمريهما وجمع الاثنين معا تحت تاج واحد (مؤنس، فجر الأندلس، دون تاريخ، ص. 344؛ عبد اللّه عنّان، ج1، 1997، ص. 213.)

باعتباره الوريث الشرعي لعرشيهما لأنّ فافيلا لم يترك وريثا لعرشه، وبذلك تم توحيد الامارتين الصّغيرتين تحت سلطة واحدة (عبد الفتاح سويلم، 2001، ص. 52.)

ومن هنا استطاعت المملكة الأشتوريّة الصّغيرة التي كانت تختبئ وراء الجبال أن تتوسع نتيجة الاختلاط بين العائلتين المالكتين في كانتبرية وأشتوريس.

(Roger Collins ’1983 ’p ;185 .Imamuddin ’1969 ’.p.218) .

أما عن الأسباب التي دفعت الاشتوريين إلى اختيار ألفونسو الأول كملك عليهم خلفا لفافيلا فيمكن أن نجملها في عدة نقاط منها الروابط المختلفة التي تجمع بين الكانتبرين والأشتوريين والمتمثلة أساسا في رابطة الدين فهما شعبان يدينان بدين واحد وهي المسيحية الكاثوليكية، بالإضافة إلى علاقة المصاهرة التي تربط ما بين الأسرتين المالكتين فيهما بعد زواج ألفونسو بن بطرة دوق كانتبرية بأرمسيندا أخت فافيلا وابنة بلاجيوس ملك أشتوريس (عبد الله عنّان، ج1، 1997، ص. 213؛ محمد عبد الحليم، دون تاريخ، ص. 40؛ إبراهيم السامرائي، 2000، ص. 137؛ أنظر أيضا: Collins Roger’ 1983’ p. 185.)، مما أهله في أن يرث العرش بعد موت فافيلا، وهو ما ذكره ابن الخطيب نقلا عن حولية ألفونسو العاشر بقوله: «ثم مات بلاي وملك بعده ابن له يسمى فافيلة، وتمادى ملكه عامين ثم قتله دب تعرض له في الصيد، ولم يحذره فأتى عليه، وولّى الملك بعده صهر له من بيته و أرضه اسمه دون القنش بن الدوق دون بطرة، من أهل قانطبرية، كان قد وصل من تلك الأرض لزيارة أم بلايه، وأعانته وخدمته، فأكرمه بلاي وزوجه ابنته، فلما هلك لم يوجد أولى به منه فملك سنة 772 م بموافقة 114هـ» (ابن الخطيب، 1956، ص. 323.) ومن هذا النّص يتضح لنا أنّ فافيلا لم يكن لديه وريث لعرشه، كما يوضّح لنا أيضا دور وأثر علاقات المصاهرة بين الأسر الحاكمة في بناء التّكتّلات السياسية والتحالفات العسكرية بانتقال الحكم من أسرة إلى أخرى.

دون أن ننسى عامل الجغرافيا المتمثّل في علاقة الجوار ما بين المملكتين فهما ملتحمتين ببعضهما البعض كما أنهما تواجهان عدوا واحدا مشتركا لهما يهدد وجودهما يتمثل في خطر المسلمين، وربما رأوا أنه من الضروري توحيد صفوفهم تحت سلطة واحدة قوية يتمكنون من خلالها في أن يتصدّوا لزحف المسلمين (دوزي، ج2، 1994، ص. 15.)، كما لا ننسى التقارب والتلاحم الذي حصل بين الجانبين – الكانتبريين والأشتوريين– في معركة كوفادونجا، حيث أسهم الكانتبريون بقوة عسكرية تحت قيادة ألفونسو الأول شاركت إلى جانب الأشتوريين فيها، ممّا مكّنهم من تحقيق الانتصار على المسلمين كما بيّنا ذلك سابقا .

وقد يكون لألفونسو الأول في حدّ ذاته أطماع في ضم عرش أشتوريس لدوقيّته، لأنّها تمثّل مجالا حيويّا

مهمّا لتوسيع دوقيته يحميه من هجمات المسلمين في الغرب نظرا لحصانتها ومناعتها الطبيعية، خاصة بعد أن تقلصت مساحة ملكه في عهد أبيه عندما تمكّن المسلمون في عهد الوالي عقبة بن الحجاج السّلولي من السّيطرة على جزئها الشرقي المعروف بألبة (مجهول، أخبار مجموعة ، 1994، ص. 66؛ ابن الآثير، المجلّد.4، دون تاريخ ، ص. 412؛ عبده حتاملة، 2000، ص. 130.)، وبالتالي لم يبق له إلاّ بردوليا في شرق أشتوريس، كما يمكن أيضا أن يكون أهل أشتوريس هم من اختار ألفونسو الأول ملكا عنهم بعد مقتل فافيلا لما رأوه فيه من شهامة وقوة وشجاعة أظهرها أثناء مشاركته في معركة كوفادونجا الى جانب الأشتوريين أهّلته في أن يختاروه ملكا عنهم يوحّدهم و ينظّم صفوفهم لمقاومة المسلمين (طه رمضان، 2001، ص. 301.).

أما عن تاريخ تولّي ألفونسو الأول عرش مملكة أشتوريس ومدّة حكمه لها، فهناك تضارب كبير في الآراء ما بين المؤرخين، فحولية ألفونسو العاشر تشير إلى أن ألفونسو الأول تولى عرش أشتوريس لمدة تسع عشرة سنة تمتد ما بين سنتي 734م إلى غاية 752م .

(Priméra Cronica General 'Estoria de Espana '1906 'to '02.p 'p.337 '330) .

ولا يمكن أن نقبل بهذا الرأي لأن بلاجيوس خلال هذا التاريخ (سنة 734م) كان لازال على قيد الحياة وتوفّي بعد هذا التاريخ بثلاث سنوات، ثمّ تولّى العرش بعده ابنه فافيلا لمدّة سنتين وتوفي سنة 739م وهنا تولّى ألفونسو الأوّل حكم مملكة أشتوريس.

في حين نجد أن مدوّنة دون لذريق قد وقعت أيضا في الخطأ والتناقض فيما يخص بداية ومدة حكم ألفونسو الأول ففي إحدى نسخها جعلت من سنة 733م بداية لحكمه الذي دام تسع سنوات أي حتى سنة 742م حسب ما ورد فيها، وفي نسخة أخرى لها جعلت بدايته سنة 735م وأستمر لمدة تسع عشرة سنة أي إلى غاية سنة 754م، وربما يعود التناقض هنا إلى محقق نص هذه المدونة (للمزيد من التفاصيل أنظر: طه رمضان، 2001، ص. 303.).

أما عن روايات المؤرخين المسلمين ففيها بعض الاضطراب والاختلاف أيضا فيما يتعلّق بهذا الموضوع، فصاحب رواية فتح الأندلس جعل وفاة فافيلا سنة 133هـ/751م (مجهول، فتح الأندلس، دون تاريخ، ص. 48) مما يعني أن ألفونسو الأول تولى أشتوريس في هذه السنة، أما القلقشندي وابن خلدون فاتفقا على تحديد نهاية حكم ألفونسو الأول سنة 142هـ/760م، ومدة حكمه بثمانية عشر سنة (القلقشندي، 1915، ج5، ص. 264؛ ابن خلدون، دون تاريخ، ج4، ص. 230.) مما يعني أنه تولى الحكم سنة 124هـ/742م، وهنا نجد تناقضا في روايتهما أو خطأ في حساباتهما، فهما قد ذكرا سابقا أن بلاجيوس توفي سنة 133هـ/ 751م فخلفه ابنه فافيلا

لمدة سنتين وقتل في رحلة صيد سنة 135هـ/ 753م ليصبح بعده ألفونسو الأول حاكما على أشتوريس لمدة ثمانية عشر سنة حسب روايتها مما يعني أنه توفي سنة 153هـ/ 771م وهذا لا يتفق مع ما ذكرناه حول تاريخ وفاة ألفونسو الأول، في حين نجد أن ابن الخطيب الذي اعتمد على رواية ألفونسو العاشر فذكر بداية حكمه سنة 772م/ 114هـ ودام لمدة تسع عشرة سنة (ابن الخطيب، 1956، ص.. 323. لا ينطبق رأي ابن الخطيب مع الدّراسات الحديثة حول تاريخ بداية حكم ألفونسو الأول، فيما يتفق معها في مدّة الحكم، كما لا نجد تطابقا بين التقويم الميلادي والتقويم الهجري اللذين ذكرهما ابن الخطيب.)، أما الدراسات الحديثة (عبد اللّه عنّان، ج1، 1997، ص. 213؛ إبراهيم السامرائي وآخرون، 2000، ص. 137؛ سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، 2000، ص. 51؛ طه رمضان، 2001، ص. 304؛ أنظر أيضا:

(Lévi Provençal ’1999 ’to ’01 .p ;68 .Barrau Dihigo ’1921 ’p ;136 .Roger Collins ’1983 ’p ;229 .Ulick .Ralph Burke’M .A ’volume ’01’1900 .p–135. ;136Charles .E .Chapman ’1930 ’p.55) .

فاتفق أغلب مؤرخيها على جعل سنة 739م/ 121هـ تاريخا لاعتلاء ألفونسو الأول عرش أشتوريس، وحددوا مدة حكمه لها بثماني عشرة سنة ووفاته في السنة التاسع عشرة، أي سنة 757م/ 140هـ ويتفق هذا الرأي مع ما جاء في مدونة ألفونسو الثالث النصرانية (ш’ 1918’ p’ p. 70’ 117 Alfonso Cronica La.) ورأي المؤرخ ابن الأثير (ابن الآثير، المجلّد .4، دون تاريخ ، ص. 127.)، وهو الرّأي الأرجح، وهناك من حدد بداية حكمه سنة 135هـ/ 752م إلى غاية سنة 142هـ/ 760م (محمد عبد الحليم، دون تاريخ، ص ص. 39– 40.) ، ومهما كان الاختلاف بين المؤرخين فيما يخص هذا الموضوع يبقى الأهم منه ما قام به ألفونسو الأول من انجازات كانت في صالح نصارى مملكة أشتوريس.

وقد قام ألفونسو الأول بنقل عاصمة حكمه من ملك أبيه في بردوليا إلى مدينة كانجاس في إقليم أشتوريس عاصمة سابقيه من ملوك أشتوريس(طه رمضان، 2001، ص ص. 301– 302.)، ولا ندري ما هي الأسباب الحقيقية التي دفعته إلى مثل هذا التغيير؟ وهنا نرى أنه ربما أراد من خلال إقدامه على هذه الخطوة أن يستميل إليه الأشتوريين ويكسب ودهم وولاءهم له، أو ربما اشترطوا عليه ذلك مقابل الولاء والطاعة له، أو قد يكون مردّ ذلك إلى الحصانة الطبيعية التي تتميز بها أشتوريس – مناعتها وصعوبة تضاريسها – مقارنة بإقليم بردوليا التي أصبحت تجاور المسلمين بعد أن سيطروا على مقاطعة ألبة من اقليم كانتبرية في عهد الوالي عقبة بن الحجاج السلولي .

3– ألفونسو الأول وصراعه مع المسلمين :

لقد كان من حسن حظ مملكة أشتوريس الناشئة أن تولّى زمام الأمور فيها زعيم قوي واسع النشاط بعيد المطامع (مؤنس، فجر الأندلس، دون تاريخ، ص ص. 343- 344.)، استطاع أن يوحد النصارى ويحافظ على ما بأيديهم من الأراضي وحمايتها من هجمات المسلمين المتتالية (مؤنس، فجر الأندلس، دون تاريخ، ، ص. 344؛ عبد الفتاح سويلم، 2001، ص. 53.)، بل توسعت في عهد الممتلكات النصرانية على حساب أملاك المسلمين اتساعا طيبا ومفاجئا، حتى أصبحت مملكة أشتوريس من بعده تسيطر على نحو خمس مساحة شبه الجزيرة الأيبيرية كلها (مؤنس، فجر الأندلس، دون تاريخ، ص. 344.).

فبعد أن أصبح ألفونسو الأوّل ملكا على أشتوريس وفي ظل هذه الظروف المتردية التي يعيشها المسلمون بالأندلس تشجّع ألفونسو الأول مع تلك الثّلة من النّصارى لإعلان الثورة ضد المسلمين مستغلا أوضاعهم السيئة أحسن استغلال (عبد الله عنّان، ج1، 1997، ص. 214.)، بعد أن تناسوا أمره وابتعدوا عن مراقبته وكفوه جهد الحرب والصّدام معه ولو لفترة معينة، باشر نشاطه بالتوسع في تلك المساحات الواسعة التي تم إخلاؤها من قبل المسلمين نتيجة الصراع بين العرب وشركائهم البربر في جليقية وأشتوريس سنة 123هـ/ 740م، حيث لم يبق بها إلا القليل من البربر وسكانها الأصليين (دوزي، ج2، 1994، ص. 16؛ طه رمضان، 2001، ص. 325.)، ومما زاد الطّين بلّة من ضعف وتراجع في قوّة المسلمين هو القحط والمجاعة اللذين ضربا المنطقة فانتهز ألفونسو الأول الفرصة لممارسة المزيد من الضغط على المسلمين لإخراج ما تبقى منهم، كما يشير لذلك صاحب أخبار مجموعة بقوله:"... فأعقبهم الله بالجوع والقحط فجاعت الأندلس...، فثار أهل جليقية على المسلمين ... ثم غزاه المسلمون من جليقية وغزاه أهل أشتورقة زمانا طويلا حتى كانت فتنة أبي الخطار وثوابة، فلما كان في سنة ثلاث وثلاثين هزمهم وأخرج عن جليقية كلها."، ومن هذا النص نفهم أن غارات النصارى بزعامة ألفونسو الأول بدأت سنة 127هـ/ 745م أي تاريخ الفتنة بين أبي الخطار وثوابة، حيث انتهز ألفونسو الأول فرصة القحط لبسط نفوذه على أشتورقة (مجهول، أخبار مجموعة، 1994، ص. 83؛ عبد الرؤوف الفقي، دون تاريخ، ص. 112.

يذكر صاحب أخبار مجموعة أنّ هذه الغزوات كانت في عهد بلاجيوس لإعتقاده خطأ أنّ هذا الأخير توفي سنة 133هـ/ 750م، وكما وضحنا سابقا فبلاجيوس توفي سنة 120هـ/ 737م مما يعني أنّ هذه الأحداث جرت في عهد ألفونسو الأول، أمّا ابن عذاري فلم يذكر في أيّ عهد ثار أهل جليقية على المسلمين ويكتفي بالقول:" وفي سنة 133هـ ثار أهل جليقية. ". للمزيد أنظر: مجهول، أخبار مجموعة، 1994، ص. 83؛ ابن عذاري، 1988، ج2، ص. 38.)

والضياع المجاورة لها وضمها لأملاكه سنة 136هـ/ 753م (مجهول، أخبار مجموعة، 1994، ص. 83.)، حيث أشارت الروايات النصرانية إلى أن ألفونسو الأول وبرفقة أخيه فرويلة (عبد الله عنان، ج1، 1997، ، ص. 214؛

عبد الرؤوف الفقي، دون تاريخ، ص. 112.) أعدّا قواتهما في ذات العام أي سنة 136هـ/753م وقاما بحملات خاطفة وسريعة في حوض نهر دويرة، امتدّت هذه الحملات إلى ما وراء هذا النّهر جنوبا حتى وصلا بها إلى وادي الرّملة وسط شبه جزيرة أيبيريا، وأكتفت هذه الرّوايات بذكر عديد الأسماء لمدن وصلها الفونسو الأول خلال هذه الحملات أهمها : ليون، سمورة، لدسما Ledesma ، وشلمنقة Salamanca، وسلدانيا Saldania، وسيمانقا Simanca، وشقوبية Segvia، وأبلهAvila ، وأوكا Oca ، وأوسما Osma ، وميرندا.

(La Cronica Alfonso III' 1918 'p ' p ; 116 '68 .Priméra Cronica General' Estoria de Espana '1906 'to '02.p ;331 .Lévi Provençal1999 '' to. 01' p. 70; Barrau Dihigo' 1921' p. 141; Ulick. Ralph Burke'M. A' volume. 01'1900' p. 135.

أنظر أيضا: مؤنس، فجر الأندلس، دون تاريخ، ص. 349؛ دوزي، ج2، 1994، ص. 16؛ إبراهيم السامرائي، 2000، ص. 137.)

كما استغل ألفونسو الأول فرصة انشغال الوالي يوسف الفهري بالثورات والفتن الداخلية ليستولي على مدينة لك (لوجو) سنة 137هـ/754م . (عبد الله عنان، ج1، 1997، ص. 214.)

وقد أوكل ألفونسو الأول لأخيه فرويلة مهمّة حكم القسم الشرقي من مملكته – كانتبرية – والإغارة على الأراضي الإسلامية المجاورة له للسّلب والنّهب وترويع سكّانها، ثم يعود مسرعا إلى الجبال خشية أن يلحق به المسلمون (عبد الله عنان، ج1، 1997، ، ص. 214؛ عبد الرؤوف الفقي، دون تاريخ، ص. 112.)، أما عن الطريقة التي تعامل بها النصارى مع أهالي المناطق التي استولوا عليها فكانت في غاية العنف والقسوة، إذ كان يقتل كل من وقع في يده من المسلمين ويسوق معه النصارى إلى الشمال (عبد الله عنان، ج1، 1997، ص. 214؛ دوزي، ج2، 1994، ص. 16؛ إبراهيم السامرائي، 2000، ص. 138.

هناك من المؤرخين من ذكر أن ألفونسو الأول كان يقوم بترحيل النّصارى معه إلى أشتوريس خوفا عليهم من هجوم إسلامي مضاد، لكن قد يكون له أغراض أخرى منها زيادة عدد أتباعه وإعمار الشمال النّصراني أو بهدف إفراغ المنطقة من السكان وجعلها منطقة عازلة بين مملكته وبين المسلمين في الأندلس.

أنظر: Collins Roger' 1983' p p. 229 –230.)

وهو ما تؤكده رواية صاحب أخبار مجموعة بقوله : « وتنصر كل مذبذب في دينه وضعف عن الخراج وقتل من

قتل »(مجهول، أخبار مجموعة،1994، ص. 83.

قد يكون هؤلاء المرتدين عن دين الإسلام من السكان الأصليين حديثي العهد بالإسلام أو من البربر نتيجة كرههم للعرب.).

ولم يستول ألفونسو الأول فعليا على كل الأراضي التي وصل إليها، بل احتل الأقاليم المتاخمة لملكته كإقليم لبيانا (الجزء الجنوبي الشرقي من مقاطعة سانت أندر) وقشتالة القديمة – بردوليا – وساحل جليقية، وربما مدينة ليون (مؤنس، فجر الأندلس، دون تاريخ، ص. 350؛ دوزي، ج2، 1994، ص. 16.)، ولم يحتفظ في حوض نهر دويرة إلاّ ببعض المواقع الهامة المتحكّمة في المداخل المؤدّية إلى مملكته على طول السّفوح الجنوبية لجبال كانتبريّة، فقوّى تحصيناتها ودفاعاتها بحيث صارت هذه المواقع ثغورا لمملكة أشتوريس ناحية الجنوب في مواجهة الأندلس، امتدت على طول السّفوح الجنوبية لجبال كانتبرية من الغرب إلى الشّرق أهمّها من الغرب قلاع توي، وأورنس Orense الواقعين على نهر مينيو في جليقية، ثمّ أشتورقة وليون في إقليم أشتوريس، ثم قلاع سلدانيا Saldania وأمّاية وربنديكا Revendeca وميراندا دل إبرة Ebro del Miranda، وأليسانكو Alesanco في الشّرق.

ومقابل هذا تقهقرت الحدود الأندلسيّة إلى جنوب حوض نهر دويرة وسارت على خطّ يمتدّ من مدينة قلمرية Coimbra على نهر منديق Mondego غربا ثمّ إلى قوريّة Coria وطلبيرة وطليطلة على نهر تاجة، ومنها إلى وادي الحجارة وتطيلّة Tudela على نهر إبرة شرقا (مؤنس، فجر الأندلس، دون تاريخ ، ص ص. 206–207؛ طه رمضان، 2001، ص. 333.)، أمّا الأراضي الواقعة على طول حوض نهر دويرة والممتدّة مابين الثّغور الإسلاميّة والثّغور المسيحيّة الّتي داهمها فتركها حدّا فاصلا بين مملكته في الشمال والحكم الإسلامي في الجنوب (مؤنس، فجر الأندلس، دون تاريخ، ص. 350؛ أنظر أيضا:

Roger Collins’ 1983’ p.229.)، نظرا لافتقاره إلى القوة العسكرية الكافية لسدّ هذه الثغور ومواجهة المسلمين بما لديه من الإمكانيات (Collins Roger’ 1983’ p. 229.)، وعدم توفّر المال الكافي كي يبني أو يرمم القلاع والحصون التي هدّمها المسلمون عمدا قبيل رحيلهم (دوزي، ج2، 1994، ص. 16.)، فتشكلت الحدود بين الجانبين في المناطق غير المسكونة التي تم ترحيل سكانها (دوزي، ج2، 1994، ص. 16؛ مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، ج1، 1996، ص. 65؛ Roger Collins’ 1983’ p. 230; Imamuddin’ 1969’ p. 219.)

وظلّت لعشرات السّنين خالية من مظاهر الحياة والعمران حتّى قام خلفاء ألفونسو بإعادة تعميرها والاستيطان فيها

وصارت محلّ صراع وميدان للمعارك العنيفة بين المسلمين والنّصارى في العصور التّاليّة (طه رمضان، 2001، ص. 333.) ، وهناك من رأى أن ألفونسو الأول وخلفاءه من ملوك أشتوريس تركوا هذه المناطق وبوعي منهم ليحموا أنفسهم وأراضيهم ضد أي هجوم مفاجئ من طرف القوات الإسلامية (مانزانو مورينو، 2009م ، ص. 125؛ أنظر أيضا:Collins Roger، 1983، p p. 229.).

وبعد أن تمكّن ألفونسو الأول من إخراج المسلمين من جليقية غربا وحوض نهر دويرة جنوبا وتأمين حدود مملكته خاصة الجنوبية منها، وجه أنظاره إلى الجهة الشرقية من المملكة قصد تأمينها ضد خطر المسلمين الذين اقتطعوا من إمارته إقليم ألبة من قبل على عهد والده – بطرة – فاستغل ألفونسو الأول فرصة انشغال يوسف الفهري بثورة سرقسطة، (هذه الثورة تزعمها كل من الحباب بن رواحة الزهري وعامر بن عدي العامري وهما من العصبة القيسية ثارا ضد يوسف الفهري سنة 137هـ/ 754م بجهة سرقسطة فتمكّن منهما يوسف وقتلهما على بعد خمسين ميلا(80كم) من طليطلة. للمزيد من التفاصيل أنظر: مجهول، أخبار مجموعة، 1994، ص. 84– 85، 90؛ ابن عذاري، 1988، ج2، ص. 41– 42، 44؛ مجهول، فتح الأندلس، دون تاريخ، ص. 71– 76.)

وتقرب من أهل نبرة لتحريضهم على الثورة ضد المسلمين قصد إضعافهم وتشتيت قوتهم بالحرب على جبهتين لأنه كان يدرك أن الانتصار على المسلمين بما لديه من قوة عسكرية أمر غير ممكن حدوثه (طه رمضان، 2001، ص. 329.)، فثار أهل بنبلونة من البشكنس سنة 138هـ/755م– 756م ونقضوا طاعتهم للمسلمين كما فعل أهل جليقية من قبل (مجهول، أخبار مجموعة، 1994، ص. 90؛ عبد الله عنان، ج1، 1997، ص. 214.

يذكر محمد عنان أن يوسف الفهري أرسل هذه الحملة لإنجاد ثغر أربونة المحاصر من قبل الفرنج فهاجمها النّصارى بقيادة فرويلة أخ ألفونسو الأول مع حلفائه قبل عبور جبال البرنييه، لكن الروايات الإسلامية تشير الى أنّ يوسف أرسلها نحو بنلبونة، ومنها رواية صاحب أخبار مجموعة التي تذكر صراحة دون لبس أنّ هذه الحملة كانت متّجهة إلى بنلبونة وليس ضدّ الفرنج، أمّا ابن عذاري فذكر أنّ يوسف أمضى بعثين إلى جليقية والبشكنس ويقصد بالبشكنس بنلبونة، أمّا صاحب فتح الأندلس فذكر أنّه أرسل بعثين إلى جليقية ... وقدّم على البعثين ابن شهاب وابن الدّجن ممّا يعني أنّه يقصد بجليقية البشكنس أيضا.

للمزيد أنظر: مجهول، أخبار مجموعة، 1994، ص. 90؛ ابن عذاري، 1988، ج2، ص. 44؛ مجهول، فتح الأندلس، دون تاريخ، ص. 76.)، وما أن علم والي الاندلس بذلك وهو يغادر سرقسطة إلى قرطبة حتى أرسل قوة إسلامية لإخماد هذه الثورة، لكن هذه القوة العسكرية كانت قليلة فمنيت بالهزيمة (مجهول، أخبار مجموعة، 1994، ص. 90؛ ابن عذاري، 1988، ج2، ص. 44؛ مجهول، فتح الأندلس، دون تاريخ، ص. 76.

ذكرت المصادر الإسلامية أن هذه القوّة العسكرية التي أرسلها يوسف الفهري إلى بنلبونة كان يقودها سليمان بن شهاب والحصين بن الدّجن، وقد بعثهما في ضعف بغية التّخلّص منهما لإنّهما كانا من أنصار الحباب بن رواحة الزّهري وعامر بن عدي في سرقسطة فأستشهد الأول ونجا الثّاني، فأنبسط يوسف عندما وصله خبر انهزامهما أمام البشكنس، وهو ما ذكره صاحبا أخبار مجموعة وفتح الأندلس مع ابن عذاري.) ولم ينج منها إلا قلّة عادوا إلى سرقسطة، وإثر هذه الهزيمة التي أعدها يوسف الفهري بنفسه خرجت نبرة عن سلطان المسلمين، وهناك من رأى أنها دخلت في طاعة ألفونسو الأول.

(Priméra Cronica General ’Estoria de Espana ’1906 ’to ’02.p331) .

وقد كانت هذه الحملة العسكرية أول بعث إسلامي يتحرك ضد نصارى أشتوريس منذ عهد الوالي عقبة بن الحجاج السلولي، أي منذ حوالي ثمانية عشر سنة، وكل الولاة الذين تعاقبوا على حكم الأندلس بعده لم يولوا أي اهتمام بهذا الخطر المحدق بالمسلمين ممّا أعطى الفرصة لأعدائهم كي يتقوّوا أكثر فأكثر، ويدل هذا أيضا على عمق الخلاف وحدّة الصراع بين المسلمين حاكما ومحكوما في هذا الطرف – الأندلس – ممّا شتّت صفوفهم وأضعف قوتهم فتحيّنهم النّصارى في كل مرة لمهاجمتهم .

وأشار بعض المؤرخين الحديثين إلى أنّ ألفونسو الأول كان أثناء حملاته على الأراضي الواقعة تحت الحكم الإسلامي يقوم باستدعاء النّصارى المستعربين لإعمار الشّمال النّصراني،

(Charles .E .Chapman1930 ’’ p. 55; Imamuddin’ 1969’ p. 219.

المستعربون: أو النّصارى المعاهدون هم مسيحيّون إسبان بقيوا بعد فتح الأندلس في المدن والبقاع المفتوحة تحت حكم الدّولة الإسلامية، ظلّوا على ديانتهم المسيحيّة لكنّهم تعرّبوا بدراسة اللّغة العربيّة وآدابها وثقافتها. للمزيد أنظر: ابن الخطيب، الإحاطة، مج1، 1973، ص. 106، هامش. 02؛ مختار العبادي، دون تاريخ، ص.111؛ السيّد عبد العزيز سالم، دون تاريخ، ص. 130– 132؛ سهيل زكّار، ج2، 1995، ص. 67.)

وخلق تنميّة اقتصادية فيه لاستقطاب ما أمكن من النّصارى، وأعتمد في ذلك على رجال الدّين لما لهم من مكانة وتأثير روحي كبير على عامّة الشعب، فعمل على تشجيعهم من خلال إقامة الكنائس ودور العبادة وتزيينها وتزويدها بما تحتاج من كتب مقدّسة مع شروحاتها ليسهل فهمها، ومن أشهر الكنائس التي تمّ تشييدها في عهده كنيسة سانتا ماريا Maria Santa التي فتحت في سنة 740م /122هـ بالعاصمة كانجاس، وفيها دفن ألفونسو الأول مع زوجته حين وفاتها .

(Priméra Cronica General ’Estoria de Espana ’1906 ’to ’02.p ’p.337 ’333 .

أنظر أيضا: طه رمضان، 2001، ص. 334.)

وما قام به ألفونسو الأول من توسّعات على حساب المسلمين لا يعود إلى ما يمتلكه من القوة العسكرية، بل يرجع إلى عدّة عوامل تضافرت مع بعضها البعض كان لها صداها الايجابي بالنسبة للمقاومة النصرانية في إقليم أشتوريس خلال عهده ومن هذه العوامل نذكر ما يلي:

– الاستقرار السياسي داخل مملكة أشتوريس، الذي يعود إلى طول مدة حكم ألفونسو الأول لهذه المملكة، إذ دام حكمه حوالي تسع عشرة سنة ما بين سنتي 121هـ/739م – 757م ،

(Lévi Provençal ’1999 ’to ’01 .p ;68 .Barrau Dihigo1921 ’’ p. 136;The New Cambridge Medieval History’ volume. 11’ 2008’ p. 276.)

على عكس ما كان يحدث للحكم الإسلامي في الأندلس من اضطراب سياسي وفتن وحروب أهلية أدت إلى انعدام الأمن والاستقرار (محمد زيتون، 1990’ ص. 225.)، فألفونسو الأول خلال مدة حكمه لأشتوريس عاصر ستة من حكام الأندلس،

(هم : عبد الملك بن قطن (الولاية الثانية)، بلج بن بشر بن صفوان، ثعلبة بن سلامة العاملي، أبو الخطار الحسام بن ضرار، ثوابة بن سلامة الجذامي، يوسف الفهري، بالإضافة إلى عبد الرحمن الداخل مؤسس الإمارة الأموية في الأندلس الذي عاصر الفونسو الأول لمدّة سنتين. عن هؤلاء وعن مدة حكم كل واحد منهم قارن: (القلقشندي، 1915، ج5، ص ص. 243– 244؛ ابن عذاري، 1988، ج2، ص. 31– 36؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، دون تاريخ، ص ص. 101– 102.) مما يدل على اضطراب الأوضاع في الأندلس نتيجة التنافس حول السلطة في أواخر عصر الولاة (محمد عبد الحليم، دون تاريخ، ص. 43، عبد الرؤوف الفقي، دون تاريخ، ص. 111.)

كمقتل عبد الملك بن قطن على يد خليفته بلج بن بشر وما نتج عن ذلك من فوضى داخل الأندلس (ابن عبد الحكم، دون تاريخ، ص ص. 296– 297. بلج بن بشر بن عياض القشيري قائد دمشقي شهم، بعثه الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك على رأس جيش كبير رفقة عمّه كلثوم بن عياض لمّا ثار البربر بزعامة ميسرة المدغري على والي إفريقية عبد الله بن الحبحاب سنة 123هـ/ 741م، عبر المجاز إلى الأندلس في نفس السنة، وتولّى أمرها لمدّة إحدى عشرة شهرا، وقيل إثنا عشرة شهرا، وقيل ستة أشهر، حيث توفي هناك في شهر

شوال 124هـ/742م. للمزيد أنظر: مجهول، فتح الأندلس، دون تاريخ، ص. 51– 57؛ ابن عذاري، 1988، ج2، ص ص. 31– 32؛ المقري، 1988، مج3، ص. 20– 22.) ، وهو ما يؤكّده المؤرّخان الحميدي والضبي بقولهما: «فردّ عبد الملك بن قطن، ثمّ جاء بلج بن بشر فأدعى ولايتها، وشهد له بعض من كان معه، ووقعت فتن من أجل ذلك افترق أهل الأندلس فيها على أربعة أمراء.» (الحميدي، 1966، ص. 05؛ الضّبي، 1967، ص. 10؛ عبد الواحد المراكشي، 1963، ص. 36.).

فاستغل ألفونسو الأول الوضع أحسن استغلال نتيجة انشغال المسلمين بصراعاتهم الداخلية وابتعاد خطرهم عن حدود مملكته.

(عبد الله عنان، ج1، 1997، ص. 213؛ دوزي، ج2، 1994، ص ص. 15– 16؛ محمد عبد الحليم، دون تاريخ، ص. 40.)

– ومن العوامل أيضا التي ساهمت في تدهور وضع المسلمين في الأندلس وإضعاف قوتهم هو انغماسهم في الصراعات الداخلية، كالخلاف بين العرب والبربر (اندلعت ثورة البربر ضد العرب في شمال إفريقيا سنة 121هـ /739 م تحت زعامة ميسرة المدغري أو الحقير كما تلقبه المصادر العربية، وانتصروا على العرب في معركة أطلق عليها غزوة الأشراف بالقرب من طنجة سنة 123هـ/740م، ولما وصل صدى هذه الثورة إلى بربر الأندلس الذين كانوا هم الأغلبية الساحقة في جيش طارق وبأعداد لا بأس بها في جيش موسى يضاف لهم الأعداد الكبير منهم الذين عبروا إلى الأندلس بعد سماعهم بانتصارات طارق، فأستقر أكثرهم في المناطق الجبلية بشمال الأندلس لأنها تتلاءم ونمط معيشتهم في شمال إفريقيا وقد تحملوا عبء كبيرا في فتح الأندلس والجهاد ضد النصارى في الشمال، ولما علموا بانتصار إخوانهم في شمال افريقية أعلنوا الثورة ضد العرب بالأندلس في نفس السنة 123هـ /740م –741م مما كان له عواقب وخيمة على مستقبل الإسلام و المسلمين– عربا وبربرا – في المنطقة، أما عن أسباب ثورتهم فهناك من يرى سوء معاملة العرب للبربر، وفيهم من يرى أنّ السبب يعود إلى استئثار العرب بالأراضي الخصبة ودفعهم للبربر نحو الأراضي الجذباء . للمزيد عن هذه الثّورة أنظر: مجهول، أخبار مجموعة، 1994، ص. 66، 68– 82؛ مجهول، فتح الأندلس، دون تاريخ، ص. 51– 54؛ ابن القوطيّة، 1983، ص ص. 39– 40؛ ابن الآثير، المجلّد.4، دون تاريخ، ص. 416– 418، 458– 459؛ ذنون طه، 2004، ص. 312– 328؛ عبده حتاملة، 2000، ص. 133– 139؛ عبد العزيز سالم، د. ت ، ص. 122– 124.) الذي أدى إلى قيام حرب أهلية ما بين المسلمين داخل الأندلس كان لها عواقب وخيمة على مستقبلهم فيها، إذ خلّفت في نفوس العرب والبربر من الكراهية ما لا تمحه الأيام، وبدّدت كل أمل في الامتزاج التام بينهما كما دفع هذا بالعديد من المسلمين عربا وبربرا إلى هجرة الشمال النصراني والتدحرج نحو الجنوب بل فيهم من عاد إلى

شمال إفريقيا، وهو ما فسح المجال واسعا أمام نصارى الشمال للتوسع في الأراضي المهجورة وزادت آمالهم في استعادتها من جديد.

(مجهول، أخبار مجموعة، 1994، ص. 71؛ مؤنس، فجر الأندلس، دون تاريخ، ص ص. 345- 346.)

- استمرار الصّراع بين القيسية واليمانية وما صاحب ذلك من تمزق وضعف في صفوف المسلمين، فقد زادت حدة الصراع في عهد عبد الملك بن قطن بعد عبور العرب الشاميين بزعامة بلج بن بشر إلى الأندلس بعد أن اشتدّ حصار البربر لهم في سبتة، واستمرار هذا النزاع في عهد من خلفهم من ولاة الأندلس إذ دخل الطرفان في حروب دامية لا طائل منها سوى الخسائر الكبيرة في الأرواح، وأشهر معاركها دموية وبلاء على المسلمين موقعة شقندة (موقعة شقّندة : هي من أشهر المعارك بين القيسيّة واليمانيّة، جرت أحداثها سنة 130هـ/ 747م، وكانت أشدّها شراسة، قال عنها ابن حيّان: " أنّه لم يك بالمشرق ولا بالمغرب حرب أصدق منها جلادا ولا أصبر رجالا، طال صبر بعضهم على بعض إلى أن فني السلاح وتجاذبوا بالشّعور، وتلاطموا بالأيدي، وكلّ بعضهم عن بعض"، أمّا ابن عذاري فقال فيها: " فلم يعهد حرب مثلها في المسلمين بعد حرب الجمل وصفين."وانتهت بانهزام اليمانيّة مع أبي الخطار. للمزيد عنها أنظر: ابن عذاري، 1988، ج2، ص ص. 36- 37؛ ابن حيان برواية: المقري، 1988، مج3، ص ص. 25- 26؛ مجهول، فتح الأندلس، دون تاريخ، ص ص. 67- 68.) بالقرب من نهر قرطبة كانت فيها اليمانية بزعامة أبي الخطّار (أبو الخطّار الحسام بن ضرار: تولى الأندلس بأمر من والي إفريقية حنظلة بن صفوان سنة 125هـ/ 742م، دانت له الأندلس بأهلها شاميين وبلديين، لكنّه تعصّب لليمانية فوثب عليه الصميل بن حاتم فعزله، شهد موقعة شقّندة، اختلفت المصادر حول مدّة ولايته قيل تسعة أشهر وقيل سنتين وقيل أيضا ثلاث سنوات.

للمزيد أنظر: ابن عذاري، 1988، ج2، ص. 33- 37؛ ابن حيان والرّازي برواية: المقري، 1988، مج3، ص . 22- 24؛ مجهول، أخبار مجموعة، 1994، ص. 75، 80، 82- 83؛ مجهول، فتح الأندلس، دون تاريخ، ص . 58- 62.)

والقيسيّة بزعامة يوسف الفهري والضمائيل بن حاتم. (الصميل بن حاتم: بن شمر بن ذي الجوشن الكلابي، دخل الأندلس في طالعة بلج بن بشر، كان جوادا شجاعا فبلغ بهذه الصّفات ما بلغ وساد في الأندلس وصار من رجالها المعدودين، توفي سنة 146هـ/ 759م.

للمزيد أنظر: مجهول، أخبار مجموعة، 1994، ص. 80؛ مجهول، فتح الأندلس، دون تاريخ، ص . 64، 97.)

- كما قامت أيضا ثورات أخرى في أنحاء متفرقة من الأندلس ضد واليها يوسف الفهري أهمها: ثورة عبد

الرحمن بن علقمة اللخمي فارس الأندلس الذي كان حاكما على ثغر أربونة، بالإضافة إلى ثورة عمرو بن يزيد الأزرق في إشبيلية، وثورة الحباب الزهري في سرقسطة.

(عن هذه الثورات أنظر: المقري، 1988، مج3، ص. 26؛ ابن عذاري، 1988، ج2، ص ص. 37- 38؛ الرّازي برواية: ابن عذاري، 1988، ج2، ص ص. 41- 42.)

- ولا ننسى أيضا دور الظروف الطبيعية التي سادت الأندلس خلال هذه الفترة والتي كان لها دور في تراجع قوة المسلمين وفي نفس الوقت شجعت أعدائهم من نصارى أشتوريس للتجرؤ على المسلمين والمتمثلة أساسا في القحط والمجاعة الذين أصابا الأندلس سنة 131هـ/ 750م (هناك اختلاف حول السنة التي بدأ فيها القحط والمجاعة بالأندلس، فقيل سنة 130هـ/ 147م، وقيل سنة 131هـ/ 748م، وقيل أيضا سنة 133هـ/ 751م. للمزيد أنظر: مجهول، أخبار مجموعة، 1994، ص. 83؛ ابن عذاري، 1988، ج2، ص.38؛ مجهول، فتح الأندلس، دون تاريخ، ص. 69؛ مؤنس، فجر الأندلس، دون تاريخ، ص. 347؛ عبد اللّه عنان، ج1، 1997، ص. 214؛ دوزي، ج2، 1994، ص. 15؛ طه رمضان، 2001، ص. 322؛ إبراهيم السامرائي وآخرون، 2000، ص. 137.) واستمرا لمدة خمس سنوات، فاستفحل الجوع بين أهلها مما دفع بالكثير منهم - عربا وبربرا- خاصة البربر- إلى النزوح صوب الجنوب بل هناك منهم من عادوا إلى مواطنهم الأصلية إلى شمال إفريقيا وبالتالي خلّف المسلمون وراءهم منطقة واسعة تفصل بين المسيحيين في الشمال والمسلمين في الجنوب، اجتاحها الأشتوريون وبسطوا نفوذهم عليها بعد أن قتلوا وخرّبوا وأخرجوا من بها من المسلمين.

(مجهول، أخبار مجموعة، 1994، ص. 83؛ ابن عذاري، 1988، ج2، ص. 38؛ دوزي، ج2، 1994، ص. 15؛ عبد الرّؤوف الفقي، دون تاريخ، ص. 112؛ عبد المجيد نعنعي، دون تاريخ، ص. 114؛ سعيد بشتاوي، الأندلسيون المواركة، 1983، ص.43.)

- اضطراب الوضع السياسي بدار الخلافة نتيجة الصراع حول السلطة بين الأمويين والعباسيين الذي انتهى بسقوط الخلافة الأموية وقيام الخلافة العباسية سنة 132هـ/751م (الحميدي، 1966، ص. 08؛ الضّبي، 1967، ص ص. 11- 12؛ ابن الأثير، ابن الأثير، ابن الآثير، المجلّد .5، دون تاريخ، ص. 63؛ ابن خلدون، دون تاريخ، ج4، ص. 154.)، وما كان له من آثار سلبية على الأوضاع داخل الأندلس (مجهول، فتح الأندلس، دون تاريخ، ص. 69.)، خاصة مع دخول عبد الرحمن الداخل (عبد الرّحمن الدّاخل: هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، لقبه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بصقر قريش، دخل الأندلس سنة 138هـ/756م وهو أوّل أمراء بني أميّة فيها بعد أن أفل نجمهم في المشرق، دام حكمه لها ثلاثة وثلاثين سنة حيث توفي في شهر ربيع الثاني 172هـ/788م. للمزيد أنظر: الحميدي، 1966، ص ص. 08- 09؛ الضّبي،

1967، ص. 12؛ ابن الأبار، ج2، دون تاريخ، ص. 35- 41؛ ابن عذاري، 1988، ج2، ص . 47- 58؛ ابن الخطيب، الإحاطة، مج3، 1973، ص . 467- 471.) وما صاحب ذلك من توتّر نتيجة الصراع بينه وبين واليها يوسف الفهري ثم انفصالها عن الخلافة الإسلامية بالمشرق.

(ابن الكردبوس، 1965 - 1966 ، ص. 55- 57؛ ابن خلدون، دون تاريخ، ج4، ص ص. 155- 156.).

وما يمكن أن نشير إليه أنّ ألفونسو الأوّل أثناء حملاته ضدّ المسلمين لم يصطدم بأيّ قوّة عسكريّة منظّمة، فالمصادر الإسلامية واللاّتينيّة على حدّ السّواء لا تذكر أيّ تصادم بين الجانبين في معركة ما، بل كان تصادمه أثناء هذه الحملات ببقايا المسلمين في تلك المناطق وهم قلّة بقوا هناك بعد هجرة إخوانهم صوب الجنوب وإلى شمال إفريقيا.

4 - وفاة ألفونسو الأوّل :

توفي ألفونسو الأول سنة 757م/ 140هـ بعد حكم دام ثمانية عشر سنة (تجمع جلّ المصادر سواء كانت نصرانيّة أو إسلاميّة على أنّ ألفونسو الأول حكم ثمانيّة عشر سنة، لكنّهم يختلفون في تاريخ وفاته، فحوليّة ألفونسو الثالث وابن الأثير تجعلانها سنة 757م/140هـ وهو ما يتفق مع رأي المؤرخين الحديثين، أمّا القلقشندي وابن خلدون فيذكران أنّه حكم ثمانية عشر سنة وتوفّي سنة 142هـ/ 759م، لكنّهما يتّخذان من سنة 135هـ/ 752م تاريخا لبداية حكمه ممّا يعني أنّه حكم ما يقارب ثماني سنوات وهنا يكونان قد أخطأ في الحساب، أمّا ابن الخطيب ونقلا عن حوليّة ألفونسو العاشر فذكر أنّه حكم لتسع عشرة سنة وتوفّي سنة 133هـ/ 791م وهو أمر مستبعد جدّا، بينما هناك من المؤرخين الحديثين من ذكر وفاته سنة 765م/ 147هـ. للمزيد أنظر:

La Cronica Alfonso ш ’1918 ’p ’p ; 117 ’70 .Lévi Provençal ’1999 ’to’01 . p ;68 .Barrau Dihigo1921 ’’ p. 136; Ulick. Ralph Burke’M. A’ volume. 01’1900’ 136; Charles. E. Chapman’ 1930’ p. 55.

أنظر أيضا: ابن الآثير، المجلّد 5، دون تاريخ، ص. 127؛ القلقشندي، 1915، ج5، ص. 264؛ ابن خلدون، دون تاريخ، ج4، ص ص. 229- 230؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، 1956، ص. 323؛ عبد المجيد نعنعي، دون تاريخ، ص. 114؛ إبراهيم السامرائي وآخرون، 2000، ص. 138؛ عبد الرّؤوف الفقي، دون تاريخ، ص. 112.)

عمل خلالها بكلّ جدّ وحزم على تقويّة مملكته مستغلاّ في ذلك الظّروف العصيبة التي كان يمرّ بها المسلمون في الأندلس رغم قلّة ما لديه من الإمكانيّات المادّية والبشريّة، إلاّ أنّه استطاع أن يخرجها إلى برّ الأمان، وجعل منها كيانا له وجوده على الخارطة السّياسية لشبه الجزيرة الأيبيرية، ولديها من القوّة ما يكفيها حتّى تجرّأت على المسلمين ورفعت ضدّهم لواء التّحدّي وافتكّت منهم أقاليم عديدة، بعد أن كانت محصورة في كهف صغير بجبال قمم أوربا مع بداية الفتح الإسلامي للأندلس.

وقد اختلفت آراء المؤرخين الحديثين حول شخصيّته وطبيعة عمله الحربي ضدّ المسلمين، فهناك من رأى في شخصه أنّه رجل وطني سعى جاهدا إلى استرجاع اسبانيا من المسلمين، بينما هناك من رأى أنّه رئيس عصابات ليس له من وراء نشاطه سوى السّلب والنّهب، وأنّه كان يغاور على كلّ من جاوره طمعا في الغنائم لتسيير أمور دولته النّاشئة، ولم يسلم من بطشه حتّى جيرانه من النّصارى إذ كان ينزل بهم من البلاء أشدّ ممّا كان ينزله بالمسلمين (مؤنس، فجر الأندلس، دون تاريخ، ص. 352.)، لهذا فضّل بعضهم – النّصارى– الحكم الإسلامي بدلا من حكمه في مناطق عدّة مثل: لديسما، شلمنقة، سمّورة، أشتورقة، ليون، ألبة، شقوبية، وعدد مهمّ من المدن التي عانت من الهجمات المسيحيّة.

(Ulick .Ralph Burke'M .A 'volume '01'1900 .p.135) .

قائمة المصادر والمراجع المعتمد عليها في هذا المقال:

أ – قائمة المصادر العربية:

- ابن الأبار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله، الحلّة السيراء، ت. حسين مؤنس، الجزء 2، الطبعة. 2، دار المعارف – القاهرة، 1985.
- ابن الآثير الجزري: أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، ت. محمد يوسف الدّقاق، المجلد.4، دار الكتب العلمية – بيروت، دون تاريخ.
- ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن، فتوح مصر والمغرب، ت. عبد المنعم عامر، ج1، شركة الأمل للطّباعة والنّشر، دون تاريخ.
- الحميدي: أبو عبد الله محمد بن أبي نصر، جذوة المقتبس في ذكر ولاّة الأندلس، الدّار المصريّة للتّأليف والترجمة، 1966.

- ابن الخطيب لسان الدّين ،

– الإحاطة في أخبار غرناطة، ت. محمد عبد الله عنّان، المجلّد 1، الطبعة. 2، مكتبة الخانجي – القاهرة، 1973 .

– أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجرّ ذلك من شجون الكلام، ت. ليفي بروفنسال، دار المكشوف – بيروت، 1956.

- ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ت. سهيل زكّار، الجزء 4، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، دون تاريخ.

- الضّبي: أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ت. ابراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، 1967.

- ابن عذاري المراكشي: أبو العباس أحمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ت. ج س. كولان، ليفي بروفنسال، الطبعة . 2، ج. 2، دار الثقافة – بيروت، 1988.

- القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى، ت. محمد عبد الرّسول، الجزء 5، المطبعة الأميرية – القاهرة، 1915.

- ابن القوطيّة: أبوبكر محمد بن عمر، تاريخ افتتاح الأندلس، ت. ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري– القاهرة – دار الكتاب اللبناني – بيروت، 1983.

- ابن الكردبوس: أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري، الإكتفاء في أخبار الخلفاء، ت. أحمد مختار العبّادي، صحيفة معهد الدّراسات الإسلاميّة – مدريد، 1965 – 1966.

- مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، ت. محمد زينهم عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، 1994.

- مجهول، فتح الأندلس، ت. لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلميّة – الوكالة الإسبانية للتّعاون الدّولي، دون تاريخ.

- المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ت. محمد سعبد العريان، القاهرة، 1963.

- المقري: أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب وذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب، ت. إحسان عبّاس، المجلّد 4، دار صادر – بيروت، 1988.

ب– قائمة المصادر الأجنبية :

- La Cronica Alfonso III’ edicion preparado por. Zacarias Garcia Villada’ S. I’ Madrid’ 1918.

- Priméra Cronica General’ Estoria de Espana’ publicada – por Roman Menédez Pidal’ to.02 ’1906 .

ج – قائمة المراجع العربية :

- إبراهيم السامرائي خليل وآخرون، تاريخ العـرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت، 2000.

- إدواردو مانزانو مورينو، التأثير العربي في أوربا العصور الوسطى، ت. قاسم عبده قاسم، مطبعة صحوة، 2009م.

- دوزي رينهارت، المسلون في الأندلس، ت. حسن حبشي، ج2، الهيأة المصرية العامة للكتاب، 1994.

- ذنون طه عبد الواحد، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي– بيروت، 2004.

- عبد الرؤوف الفقي عصام الدّين، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق – القاهرة، دون تاريخ.

- طه رمضان عبد المحسن، الحروب الصليبية في الأندلس ، مكتبة الأنجلومصرية – القاهرة، 2001م

- سعيد بشتاوي عادل.

– الأندلسيون المواركة، مطابع أنترناسيوناك برس – القاهرة، 1983.

– الأمة الأندلسية الشهيدة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، 2000.

- عبده حتاملة محمد، الأندلس التاريخ الحضارة والمحنة، طباعة مطابع الدستور التجارية – عمّان، 2000.

- عبد العزيز سالم السيّد، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتّى سقوط الخلافة بقرطبة، دون طبعة، دون تاريخ.
- محمد عبد الحليم رجب، العلاقات بين الأندلس الإسلامية و اسبانيا النصرانية في عصر بني أمية و ملوك الطوائف ، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، دون تاريخ.
- محمد زيتون محمد، المسلمون في المغرب والأندلس، دون طبعة، 1990.
- مختار العبادي أحمد، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية- بيروت، د. ت.
- عبد الفتاح أنيس سويلم سائدة، علاقة الإمارة الأموية في الأندلس مع الممالك النّصرانيّة في إسبانيا (138 هـ - 300 هـ/755 م - 912 م)، إشراف. هشام أبي أرميلة، جامعة النّجاح الوطنيّة - نابلس، 2001.
- عبد الله عنان محمد، دولة الإسلام في الأندلس، الجزء 1، الطبعة 2، مكتبة الخانجي - القاهرة، 1997.
- مؤنس حسين، فجر الأندلس، الدّار السعودية للنّشر والتوزيع، دون تاريخ .
- نعنعي عبد المجيد، تاريخ الدّولة الأمويّة في الأندلس، دار النهضة العربية - بيروت، دون تاريخ.

د - المراجع الأجنبية :

- Charles. E. Chapman' A history of Spain ' the Macmillan company - New York.1930 '
- Henry Coppee 'History of The Conquest of Spain by the Arabs Moors 'Gorgias press LLC 'New Jersey '2002 'vol.02 .
- Imamuddin .P .S '.A political history of Muslim Spain 'University of Mechigan press02 'nd edition' 1969.
- Levi Provencal' Histoire de L' Espagne Musulmane' Maisonneuve et la rose ' Paris- France' 1999' to. 01.

- L. Barrau Dihigo’ Recherches sur l’histoire Politique du Royaume Asturien (718– 910)’ Dans. Revue Hispqniaue Recueil consacre á l ′etude des langues’ des literatures et de l′histoire des pays castillans’ Catalans et portugis’ librairie c.klinck sieck– Paris’ 1921.

- Ulick. Ralph Burke’M. A.’ Ahistory of Spain from the earliest tims to the a death of Ferdinand the Catholic ’edited by .Martin.A.S.Hume’ volume. 01’ second edition’ Longmans’ Green’ and Co’ London ’ 1900.

- Roger Collins’ Early Medieval Spain unity in Diversity 400 – 1000’ the Mac Millan press LTD’ London’ 1983.

هـ – الموسوعات :

- سهيل زكّار.

الموسوعة الشّامية في تاريخ الحروب الصّليبية، الجزء 2، دمشق، 1995.

- مؤنس حسين .

موسوعة تاريخ الأندلس، الجزء 1، مكتبة الثقافة الدّينية – القاهرة، 1996.

- La Grande Encyclopedie’ Paris’ H. Lamirault et Cie’ Editeurs’ s. d’ to. 02.

- The New Cambridge Medieval History’ volume. 11’ Cambridge University Press’ 2008.

1 *يشكّك القلقشندي في أصل ألفونسوبقوله: " فولّوا عليهم بعده أذفونش بن بطرة من الجلالقة أو القوط ."، لكنّنا نرجح أن يكون ألفونسو من أصل قوطي، لأنّ أباه من أعقاب حكم القوط. أنظر: القلقشندي، 1915، ج5، ص. 264.